

روح المعاني

الجليل لما مر غير مرة يأيها أمنوا شروع فى بيان الشرائع المتعلقة لما يجرى بينهم وبين غيرهم اثر ما يتعلق بأنفسهم كونوا قوامين أى كثيرى القيام له بحقوقه اللازمة وقيل : أى ليكن من عادتكم القيام بالحق فى أنفسكم بالعمل الصالح وفى غيركم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ابتغاء مرضاة الله تعالى شهداء بالقسط أى بالعدل وقيل : دعاة الله تعالى مبينين عن دينه بالحجج الحق ولا يجرمنكم لا يحملنكم شئان قوم أى شدة بغضكم لهم عاى ألا تعدلوا فلا تشهدوا فى حقوقهم بالعدل أو فتعدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل أعدلوا أيها المؤمنون فى أوليائكم وأعدائكم واقتصر بعضهم على الأعداء بناء على ما روى أنه لما فتحت مكة كلف الله تعالى المسلمين بهذه الآية أن لا يكافئوا كفار مكة بما سلف منهم وأن يعدلوا فى القول والفعل هو راجع إلى العدل الذى تضمنه الفعل وهو إما مطلق العدل فيندرج فيه العدل الذى أشار إليه سبب النزول وإما العدل مع الكفار أقرب للتقوى أى أدخل فى مناسبتها لأن التقوى نهاية الطاعة وهو أنسب الطاعات بها فالقرب بينهما على هذا مناسبة الطاعة للطاعة ويحتمل أن يكون أقربيته على التقوى باعتبار أنه لطف فيها مناسبة إفضاء السبب إلى المسبب وهو بمنزلة الجزء الأخير من العلة واللام مثلها فى قولك : هو قريب لزيد للاختصاص لاكملة فانه بمن أو إلى .

وتكلف الراغب فى توجيه الآية فقال : فان قيل : كيف ذكر سبحانه أقرب للتقوى وأفعل إنما يقال فى شيئين اشتركا فى أمر واحد لأحدهما مزية وقد علمنا أن لاشء من التقوى ومن فعل الخير إلا وهو من العدالة قيل : إن أفعل وإن كان كما ذكرت فقد يستعمل على تقدير بناء الكلام على اعتقاد المخاطب فى الشء فى نفسه قطعاً لكلامه وإظهاراً لتبكيته فيقال لمن اعتقده مثلاً فى زيد فضلاً وإن لم يكن فيه فضل ولكن لا يمكنه أن ينكر أن عمراً أفضل منه : اخدم عمراً فهو أفضل من زيد وعلى ذلك جاء قوله تعالى : آخيراً أم ما يشركون وقد علم أن لآخر فيما يشركون والجملة فى موضع التعليل للأمر بالعدل وصرح لهم به تأكيداً وتشديداً وأمر سبحانه بالتقوى بقوله جل وعلا : وأتقوا الله إثر ما بين أن العدل أقرب لها اعتناءاً بشأنها وتنبيهاً على أنها ملاك الأمر كله إن الله حبير بما تعملون .

8 .

- من الأعمال فيجازيكم بذلك وقد تقدم نظير هذه الآية فى النساء ولم يكتف بذلك لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة فى إطفاء نائرة الغيط وقيل : لاختلاف السبب فان الأولى نزلت فى المشركين وهذه فى اليهود وذكر بعض المحققين وجهاً لتقديم القسط هناك وتأخيره هنا وهو أن

آية النساء جاء بها في معرض الاقرار على نفسه ووالديه وأقاربه فبدأ فيها بالقسط الذي هو العدل من غير محاباة نفس ولا والد ولا قرابة والتي هنا جاء بها في معرض ترك العدوأة فبدأ فيها بالقيام ﷻ تعالى لأنه أردع للمؤمنين ثم ثنى بالشهادة بالعدل فجاء في كل معرض بما يناسبه وعد ﷻ الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الواجبات والمندوبات ومن جملتها العدل والتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم .

. 9

- جملة مستأنفة مبينة لثاني مفعولى وعد المحذوف كأنه قيل : أى شيء وعده